" أسئلة قديمة ومؤجلة لفاروق شوشة "

بقلم : أبو المعاطى أبو النجا

أسعدني الحظ بأن كنت عبر مراحل متعددة فى حياتى قريباً من " فاروق شوشه، فقد كنا زميلى دراسة فى كلية دار العلوم وكلية التربية فى الأعوام من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٧ م ولبعض الوقت من هذه السنوات كنا نسكن فى شقة واحده ، وحين تفرقت بنا سبل العمل بعد مرحلة الدراسة ظلت تجمعنا الصداقة التى نمت بذورها فى سنوات الدراسة فقد كنا مع أصدقاء آخرين نطارد أو تطاردنا أحلام واحدة ، لنا كأفراد وللوطن كطريق يضمنا جميعاً فقد كنا فى تلك المرحلة من التاريخ لا نملك ترف التفرقة بين أحلام الفرد وأحلام الوطن ! .

كنا فى تلك الأيام نعيش ونتنفس ونأكل أحلام وحقائق وأوهام ثورة يوليو ١٩٥٢ .

وحين امتحنت الأقدار أحلامنا وأحلام الوطن فى سنوات ١٩٧٦، و١٩٧٣، وحين بدا لبعض الوقت أنه بداية خروج من النفق المظلم انتهى بعد وقت قصير إلى أن يكون بداية للانفجار الكبير، وتفرقت مجموعة الأصدقاء التى كانت تضم " د/ عبد المحسن طه بدر ، والشقيقان د/ سمير وسليمان فياض ، وعبد الجليل حسن ود/ محمود الربيعى، بقى " فاروق " يعمل فى مصر فى الإذاعة المصرية، وخرجت إلى الكويت لأعمل بها لمدة تقترب من خمسة عشر عاماً، وخلال هذه الفترة لم تنقطع صلتى بفاروق شوشه ، كنت التقى به حين يأتى إلى الكويت فى دعوات شبه منتظمة مرة أو مرات كل شتاء، ثم يتجدد اللقاء كل صيف حين أعود إلى الوطن معه ومع المجموعة القديمة من الأصدقاء ، ومع أن هذه المجموعة كانت تضم شخصيتين من كبار المتكلمين وهما د/ عبد المحسن طه بدر و د/ سمير فياض حيث يصعب على أى أحد أن يفتح فمه وواحد منهما يتكلم، فإن المجموعة كلها كانت

تنصت حين يجئ دور فاروق شوشة فى الحديث ، فقد كان فاروق – وهو واحد من كبار الإعلاميين آنذاك – يقول لنا فى هذه الجلسات ما لا يقدمه الإعلام فى برامجه أو فى صحفه، ولم يكن سحر أحاديث فاروق شوشه يأتى فقط من أنه يقدم لنا ما هو غير معلن أو معروف بل كان السحر الحقيقى يأتى من الطريقة التى يقدمه بها من المنطق الظاهر والخفى من اللغة الشائقة السهلة والسمحة التى لا تعرف كيف تواتيه، وفى الحقيقة أننى الآن أؤكد على هذا الجانب فى شخصية فاروق شوشه لأنه هو الذى جعلنى أعانى طوال علاقتى به من أننى لم أجد أبداً الفرصة لأتوجه له ببعض الأسئلة التى كنت أحب أن أتوجه بها إليه ، كنت دائماً أفضل أن أكون من المستمعين حين يكون هو المتحدث ، وحين طلب منى الأخوة فى مجلة الهلال أن أشارك بكلمة فى العدد الخاص بفاروق شوشه بصفتى واحد من أصدقائه قلت لنفسى : الحمد لله جاءتنى الفرصة بعد طول غياب لأوجه لفاروق شوشه بعض الأسئلة التى كان بسبب سحر أحاديثه يحرمنى باختيارى –من فرصة توجيهها له...

السؤال الأول :

كيف يحقق فى داخله التوافق بين موهبتين كبيرتين خصه الله بهما ، لكل واحدة منهما طبيعة مختلفة .

الأولى : موهبة الشعر وهى ترتكز على لحظات تمد جذورها فى الماضى، حيث تتداعى وتكثر أسئلة المنبع والتاريخ والذكريات البعيدة والقريبة ولحظات أخرى ، تمد فروعها إلى المستقبل حيث تتداعى وتكثر أسئلة الغايات والأهداف البعيدة والقريبة والمصير، وموهبة أخرى هى موهبة الشعور القوى بلحظة الحاضر، هى موهبة الحضور الإنسانى فى لحظة الحاضر حتى ليبدو وكأنه واحد من ملوك هذه اللحظة ، حين يكتب قصيدة عنوانها " وقت لاقتناص الوقت " ، يجعل من عنوانها عنواناً لأحد دواوينه ، كيف يفض النزاع المتجدد فى داخله بين هاتين القوتين، وبخاصة أن لحظة الحاضر هى المدخل والمخرج للعناصر التى تصنع منها موهبة الشعر مادتها السحرية التى نسميها شعراً كما أن لحظة الحاضر بعينها هى مسرح التجلى لموهبة الحضور الإنسانى الذى تجعلنى أحيانا أعجز عن تخيل فاروق شوشة فى حالة لا يقوم فيها بإنجاز شئ أو إضفاء اللمسات الأخيرة عليه !! وإذا كان للحظة الشعر جمالها المكنون الذى لا ينتهى تجدده فإن للحظة الحاضر ميزتها الفريدة فى أنها هى التى تمنح جوائزها الثمينة على الفور فكيف عاش ويعايش فاروق شوشه هاتين الضرتين ؟!

السؤال الثانى :

تتجلى فكرتك عن الحب فى قصائدك الجميلة عن نسائك الجميلات فى صور ومعانى متعددة ومتجددة !

أروعها عندى هى :

: صورة الحب الذى هو صانع الحياة

كما فى قصيدتك " أحبك حتى البكاء "

التى تقول فى مقطع منها :

" لم توهب أنثى ما وهبته من ألفه وحيويه
يداك تتنافسان فى إبداع حياة لا سابقة لها
فكل ما تبدعينه هو على غير مثال سابق
لا تعيدين
لا تقلدين
فلديك من القدرة على الإدهاش
ومن وفرة الإحساس
ما يجدد اللحظة باللحظة
ويملأ الوقت بالوقت
ويفيض على الزمن بالغنى والحركة
والإيقاع الجياش الذى يفور دوما
ولا يهدأ "

وأقربها إلى قلبي هي تلك الصورة التي يتجلى فيها هذا الحب كمنقذ للحياة في تلك اللحظات التي تصورها قصيدتك " وحيدا كحبة رمل ".

" حيث تعلن الشواهد فوق القبور "
عن مأتم لا يفض
وحيث " لا مهرب الآن من ورطة العيش "
وحيث " لا قفز فوق الذى لم يجئ
آنذاك تأتى هى
أنت ؟
هل تطلعين من البحر ؟
أم تخرجين من الأرض ؟
أم يتجلى بهاؤك من شرفة النجم ؟
منسكبا كالنعيم الذى قبل عنه
النعيم المقيم
أنت تكتسبين مع الوقت
قيمة صحو العناصر
حين تبثين عبر خريطة هذا الموات البذىء
احتمالاً لخطو يدب
وأرجوحة لوجود سقيم
وحده الآن وجهك يمنح مأوى
ويفسح مهجع ضوء
لضيف وحيد شريد مقيم .

أما الحب الذى أسألك عنه يا صديقى فهو الذى تجيىء صورته فى قصيدة " شجون عام جديد " .
فهل هو الحب الذى نواجه به وطأة الشعور بالزمن

وعبث الأيام حين نتأكد أن العام الجديد لا يحل لنا من جديد سوى بؤس الأعوام الماضية، وكيف تريدنا أن نتعرف على ملامح هذا الحب وأنت تغطى وجهه بكل هذه الأقنعة !

أيها الحب الشتائى الذى قد تصبانا

ولا نملك غيره

أنت مأوانا ومبكانا

إذا عُدنا ورحنا نتساند

نحن جربناك لم تخذل خطانا الراعشه

حين أنعمت على القلب بدفء ودثار

وتنسمناك روحا يمنح المعنى

لكون فاقد المعنى

ويعطينا مفاتيح النهار

كم تجنينا عليك

وقهرناك بما نحمل من هم

وشجو وعثار

فإذا أنت كما أنت مطل

فى عناد واصطبار

نفتح الباب فنلقاك على رفرف أنس وانتظار

أخشى أن أقول لك إننى كدت أعرفه فتقول لى : ليس بعد !

السؤال الثالث والأخير :

لا أدرى هل سيفرحك أم يغضبك أن أقول لك أنك بثلاث قصائد لا غير هى فى حدود علمى " شبيه زماننا " والثانية " خدم " والثالثة " هل أسميهم " ؟ ... هذه القصائد الثلاث لا غير تنصبك واحداً من كبار شعراء الهجاء فى الشعر العربى الحديث، أنت الذى يعرفك الناس بالرقة والعذوبة والترفع عن الصغائر فيما تقول وتكتب وتفعل – وأن روعة القصيدة الأولى أنها جسدت زمان مرحلة فى شخص رجل من رجالات تلك المرحلة أصبح بما يقول ويفعل نموذجا لحال تلك المرحلة، وأنك فى جزء من هذه القصيدة خاطبت الرجل وهو فى قمة مجده وسطوته قائلاً:

وحدك الآن
تعلم أنى أعنيك أنت
وليس سواك
وحدك الآن
تفهم قولى
وتدرك أن الزمان الذى تجسد فيك
بخسته ووضاعة أيامه
صار ياللهوان ... ويا للغرابة
ليس يطيق احتواءك
منسلخا عن وجودك
مبتعداً عن دروبك
منفصلا عن هواء
تلوثه إن تنفست فيه ... الخ

وسؤالى بماذا تشعر الآن يا عم فاروق وهذا الرجل الذى قد هجوته وهو فى قمة سطوته وصولجانه يقف الآن وراء قضبان سجنه الذى أوصلته إليه ثورة ٢٥ يناير؟

وهل يمكن التعبير عن هذا الشعور فى قصيدة جديدة نعلم قطعاً وعن يقين أنها لن تكون هجاء ولا شماتة !! .